إمارة المؤمنين ودورها في التنمية الروحية للأقاليم الجنوبية قراءة عقدية تاريخية في ضوء الخطاب الملكي لـــ 31 أكتوبر 2025

المحفوظ البورحيمي
طالب باحث في سلك الدكتوراه بجامعة محمد الخامس،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – أكدال– الرباط
البريد الإلكتروني: elmahfoudelbourhimi81@gmail.com
المملكة المغربية

الملخص

يتناول هذا المقال مؤسسة "إمارة المؤمنين" بوصفها ثابتاً دينياً وحضارياً جامعاً في التجربة المغربية من خلال تتبع تأصيلها الشرعي في الكتاب والسنة وأقوال الفقهاء والمتكلمين، ثم رصد امتدادها التاريخي منذ الدولة الإدريسية إلى العهد العلوي، وصولاً إلى تحليل مضامينها الدينية والروحية في خطاب جلالة الملك محمد السادس نصره الله ليوم 31 أكتوبر 2025م بمناسبة الذكرى الخمسين للمسيرة الخضراء، والذي تلاه بيوم واحد اعتماد مجلس الأمن الدولي القرار رقم 2797 (2025) الداعم المبادرة الحكم الذاتي تحت السيادة المغربية، ويخلص المقال إلى أن إمارة المؤمنين ليست مجرد نظام سياسي، بل إطار عقدي يوحد الدين بالدولة، وآلية فعالة لتحقيق التنمية الروحية بالأقاليم الجنوبية، عبر ترسيخ العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي والتصوف السني المعتدل.

الكلمات المفتاحية: إمارة المؤمنين الإمامة العظمى، البيعة، المسيرة الخضراء، التنمية الروحية، الأقاليم الجنوبية، العقيدة الأشعرية.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الجلال والإكرام الذي أظفر أولياءه وأظهرهم وأعزهم، واصطفى من بين خلقه أمراء يخلفون خاتم رسله صلى الله عليه وسلم في تدبير شؤون الرعية، إصلاحاً لحالها حاضراً ومستقبلاً، فأحمده حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره والصلاة والسلام على من أم المرسلين، وحقق معنى الإمارة في الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تندرج هذه الدراسة في سياق وطني وعلمي بالغ الدلالة والراهنية؛ إذ تأتي تخليداً لمضامين الخطاب الملكي السامي في قضية الصحراء المغربية ليوم 31 أكتوبر 2025م الموسوم بالخمسين سنة من التنمية والدفاع عن الثوابت الوطنية"، وهو موضوع تكتمل راهنيته زماناً ومكاناً:

- أما الزمان فبمناسبة الذكرى الخمسين لمسيرة فتح الخضراء المظفرة، ذلك الحدث التاريخي الذي فصل بين مرحلتين في تاريخ الأقاليم الجنوبية للمملكة، قبل الاستعمار الإسباني الذي ابتليت به هذه الربوع، وبعده؛ وهو بذلك أحد أعظم منجزات سبعينيات القرن الماضي، وأبرز محطات التحرير السلمي في التاريخ المعاصر.
- وأما المكان فطرفاية، بما تختزنه من رمزية تاريخية وجغرافية، بوصفها معبراً لآلاف المغاربة الأحرار الذين لبوا نداء مبدع المسيرة فاستجابوا في ثبات ويقين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]. وقد انتظم عقد هذين البعدين تحت قيادة مولانا أمير المؤمنين آنذاك جلالة المغفور له الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه.

ومن هذا المنطلق، ينصرف هذا المقال إلى دراسة إحدى أهم الخصائص الدينية التي تميز بها المغرب الأقصى منذ عهود تمتد من العصر الإدريسي الأول إلى يوم الناس هذا، وهي مصدر قوته واستمراره: "إمارة المؤمنين".

وتتوزع هذه الدراسة على أربعة مباحث: يُعنى الأول بالتأصيل الشرعي والاصطلاحي الإمارة المؤمنين، ويتتبع الثاني جذورها التاريخية بالمغرب، ويحلل الثالث حضورها في خطاب 31 أكتوبر 2025 ودلالاته الدينية والروحية بخصوص قضية الصحراء المغربية، بينما يخصص الرابع لدراسة أثرها في التنمية الروحية بالأقاليم الجنوبية.

المبحث الأول: التأصيل الشرعي والاصطلاحي الإمارة المؤمنين

المطلب الأول: مفهوم إمارة المؤمنين وحقيقتها الجامعة

إن إمارة المؤمنين ليست مجرد نظام سياسي فحسب، بل هي ثابت ديني عقدي وحضاري جامع وشامل به يُقاس استقرار البلدان، وتُوزن به نهضتها، ويتحدد على ضوئه مستقبلها. وهي الإطار الذي التحم فيه الدين بالدنيا، فصار المغرب بفضلها نموذجاً متفرداً في التماسك الديني والاجتماعي، وفي قوة العلاقة بين العرش والشعب.

ولإمارة المؤمنين، من حيث هي صورة تاريخية وشرعية لمنصب الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة تعريفات عدة عند الفقهاء والمتكلمين تتقارب في جوهرها:

1- [سورة آل عمران، الآية: 146].

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

- فقد عرفها الإمام الماوردي (ت.450هـ) في "الأحكام السلطانية" بقوله إن الإمامة: " مَوْضُوعَةٌ لِخِلَافَةِ النُّبُوَّةِ فِي حِرَاسَةِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا"[1]، وهو تعريف يبرز البعدين اللذين تجتمع فيهما إمارة المؤمنين: حراسة أصل الدين من الانحراف والتحريف، وسياسة أمور الدنيا بما يحقق مصالح العباد.

- ويعزز هذا المعنى ما قرره الإمام ابن خلدون (ت.808هـ) في "المقدمة" بقوله: "فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"[2]. وجاء في كلامه أيضا: أنها: "نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا".[3]

وفي تعبير الماوردي بحراسة الدين، وتعبير ابن خلدون بحفظ الدين، دليل على أن الدين محل أطماع فرق وجهات تحرفه وتستغله وتؤوله وفق مصالحها الخاصة؛ وهم الغالون والجاهلون والمبطلون كما في الحديث المشهور على الألسنة؛

وهو قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «يحمل هذا العلم من كلّ خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».[4]

- كما عرفها إمام الحرمين الإمام الجويني (ت.478هـ) في غياث الأمم فقال: «الْإِمَامَةُ رِيَاسَةٌ تَامَّةٌ، وَزَعَامَةٌ عَامَّةٌ، تتعلق بِالْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، فِي مُهِمَّاتِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا. مُهِمَّتُهَا حِفْظُ الْحَوْزَةِ، وَرِعَايَةُ الرَّعِيَّةِ، وَإِقَامَةُ الدَّعْوَةِ بِالْحُجَّةِ وَالسَّيْفِ، وَكَفُّ الْخَيْفِ وَالْحَيْفِ، وَالِانْتِصَافُ لِلْمَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ، وَاسْتِيفَاءُ الْحُقُوقِ مِنَ الْمُمْتَنِعِينَ، وَإِيفَاؤُهَا عَلَى الْمُسْتَحِقِّينَ»[5].

أما وصف "أمير المؤمنين" ذاته، فقد جاء اشتقاقه من قوله تعالى في سورة النساء: ﴿يَأَيُّهَا الَذِينَ ءَامَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِى الَامْرِ مِنكُمْ﴾[6]، حيث قدمت طاعة الله تعالى، ثم ثبيت بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم قرنت بطاعة أولي الأمر. ومن قوله تعالى: ﴿وَأُوْلِى الَامْرِ﴾؛ اشتق وصف "أمير المؤمنين"؛ إذ القاعدة الأصولية المشهورة تقول: "**من قام به**

1- الأحكام السلطانية، الإمام الماوردي (ت. 450هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، (ص: 15).

2- تاريخ ابن خلدون (ت. 732 – 808 ه)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى:1401 هـ – 1981 م، (ج.1/ ص:239).

3- نفس المصدر السابق.

4- أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن عبيد الله بن أبي الفتح الفارسي الى أبي هريرة رضي الله عنه في كتابه: «شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي» (ص68 الحديث رقم 52). وقال عنه محقق الكتاب: عمرو عبد المنعم سليم: "إسناده صحيح".

5- غياث الأمم في التياث الظلم، الإمام الجويني (ت 478هـ)، المحقق: عبد العظيم الديب، **الناشر: مكتبة إمام الحرمين**، الطبعة الثانية: 1401هـ، (ص:22). وهو من أجلّ كتب الفكر السياسي الإسلامي، ولم يعرف وينشر إلا من عهد قريب، لقد عرف الدارسون والباحثون كتاب (الأحكام السلطانية) للماوردي (ت.450هـ) وشغلوا به منذ قرنٍ تقريباً. والسبب في ذلك هو انشغال المستشرقين به، حيث نشروه وترجموه، وكأننا لا نعرف قيمة علمائنا ولا نعترف بهم إلا إذا نوّه بهم المستشرقون!!، على حين يرى إمام الحرمين (ت 478هـ) – في نقده للأحكام السلطانية.. أنه ليس خالصاً للسياسة الشرعية. وما زال المجال واسعاً أمام دراسة (الغياثي) والمقارنة بينه وبين (الأحكام السلطانية). ولعلّ أحسن وأصدق تقييم لكتاب (الغياثي) ما كتبه العلامة المحقق المرحوم السيد أحمد صقر إذ قال: " يعتبر هذا الكتاب من أجلّ كتب إمام الحرمين قدراً من حيث الموضوع وطريقة العرض، ودقة الأداء، وهو كتاب فريد في بابه، لم ينسج ناسج على منواله، ولم يخض خائض في تياره، قد تنوّق مؤلفه في رصفه، واتخذ الرمز والإشارة سبيلاً إلى التعبير عن مضمونه الخطير، واتخذ أبحاثه العلمية ذريعة إلى عرضه الأصيل من الكتاب ... ثم تفضيل مؤلّفه على علماء عصره، وأنه يفوقهم بالبحث العميق، والاستنتاج الدقيق، وفهم أسرار الشريعة على نحو لم يسبقه إليه سابق".

6- سورة النساء، الآية: 59.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وصف اشتق له منه اسم"، وهي قاعدة عامة تندرج تحتها علوم إسلامية عديدة منها أصول الدين وأصول الفقه. وقد أشار إليها غير واحد من الأصوليين عند حديثهم عن الاشتقاق ومناسبته لثبوت الأحكام.

ويؤكد هذا الترتيب القرآني (طاعة الله، فطاعة الرسول، فطاعة أولي الأمر) أن طاعة الإمام مشروطة بكونها تابعة لطاعة الله ورسوله لا مستقلة عنها، وهو ما تنبه إليه جمهور المفسرين، ومنهم الإمام القرطبي، في الجامع لأحكام القرآن إذ ذهب إلى أن إعادة الفعل "أطيعوا" مع الرسول و لم تعد مع "أولي الأمر" دليل على أن طاعة ولاة الأمر إنما هي تبع لطاعة الله ورسوله، فهي مقيدة بالمعروف لا مطلقة.[1]

المطلب الثاني: الأدلة النقلية على وجوب إمارة المؤمنين ومكانتها

في سياق عناية الوحي بإمارة المؤمنين كتاباً وسنة نجد نصوصاً شرعية متظافرة تؤكد مكانة هذا الأصل ووجوب نصبه. فمن جهة القرآن الكريم، فضلاً عن آية النساء المتقدمة، يستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[2]، وهي الآية التي تسبق آية الطاعة مباشرة، مما يفيد أن أداء الأمانة والحكم بالعدل شرطان لازمان لاستحقاق الطاعة.

ومن جهة السنة النبوية، فهناك أحاديث شريفة متظافرة تتناول مكانة أمير المؤمنين في الدين والدنيا، منها ما أخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان، عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«السلطان ظل الله في الأرض، فمن أكرمه؛ أكرمه الله»** الحديث. [3]

وفي رواية أخرى أكثرَ تفصيلا: عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«من أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة، ومن أهان سلطان الله في الدنيا، أهانه الله يوم القيامة»**[4]، وتحمل هذه الأحاديث دلالة على أن مكانة السلطان الشرعي ليست شأناً دنيوياً محضاً، بل هي أمر يتصل بميزان الجزاء الأخروي.

كما أن هذه الأحاديث أيضا قد حفلت بموضوعها بعض مظان المصادر والمراجع التي تعلقت بالقرآن والسنة شرحا وبيانا وتفسيرا.

وقد تحدث العلماء عن هذا الثابت الأصيل من ثوبتنا الدينية؛ أعني إمارة المؤمنين وأنها الركن المتين من أركان الاستقرار والأساس المكين للاستمرار، فما من شيء أفضل لإقامة الدين وسياسة الدنيا به من شغر منصب حماة الدين، وولاة المسلمين، فهم العماد، والأطْوادُ والأوتادُ، ومعتصم البلاد والعباد من بحر الفساد.

1- ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية: 1384 هـ - 1964 م، (ج. 5 / ص: 259).

2- سورة النساء، الآية: 58.

3- رواه الإمام البيهقي في شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى: 1423 هـ - 2003 م، (ج.6 / ص: 390).

4- رواه الإمام أحمد في مسنده. المحقق: شعيب الأرنؤوط [ت 1438 هـ] - عادل مرشد – وآخرون. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى: 1421 هـ - 2001 م. (ج. 34 / ص: 78).

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ويعزز هذه الدلالة ما ورد في الأثر عن الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه من قوله: **"إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"**، أي أن ثمة من الناس من لا يردعه الوعظ والتذكير، فيردعه سلطان الحاكم وهيبة القانون، وهذا من أدق ما قيل في تفسير الوظيفة الاجتماعية للإمامة وهي سنة ماضية في الخلق كما قال خالق الخلق: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[1].

ويضيف حجة الإسلام الإمام الغزالي (ت.505هـ) في "**إحياء علوم الدين**" بعداً كلامياً لهذا المعنى حين يقرر أن نظام الدين لا يحصل إلا بإمام مطاع، وأن "الملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان"[2]، وقريب من هذا ما ذهب إليه ابن تيمية (ت.728هـ) في "السياسة الشرعية"، فصل مترلة الولاية: "من أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها. فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم». رواه أبو داود، من حديث أبي سعيد، وأبي هريرة" فأكد رحمه الله أنه لا قيام للدين إلا بها، مستدلاً بأن الله أمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود وحفظ الثغور، وذلك كله لا يتم إلا بقوة وإمارة.

المطلب الثالث: كيفية انعقاد الإمامة – من بيعة العقبة إلى البيعة الشرعية

منذ بيعة العقبة الأولى والثانية، كما ثبت في القرآن الكريم، وصح في سيرة سيد الأنام والمرسلين صلى الله عليه وسلم، انطلقت وتأسست في الإسلام الولاية العامة القائمة على البيعة الشرعية، بقيادة ورئاسة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، المؤصلة تاريخياً وشرعياً لمفهوم إمارة المؤمنين. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه البيعة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[3]، مما يدل على أن البيعة الشرعية عقد ذو حرمة مضاعفة، لأنها وإن كانت صادرة من العباد فمرجعها في الحقيقة إلى ميثاق مع الله تعالى.

و لم تنقطع هذه السنة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، بل استمرت في بيعة الخلفاء الراشدين حتى أصل لها الفقهاء والمتكلمون قواعد ثابتة في كيفية انعقاد الإمامة. فقد ذهب جمهور الأشاعرة –كما نقل عنهم غير واحد من الأصوليين المغاربة – إلى أن الإمامة تنعقد لمن يصلح لها بعقد رجل واحد من أهل الحل والعقد، إذا كان عالماً بالكتاب والسنة موصوفاً بالعدالة، فإذا عقدها من هذا وصفه وجبت على الناس طاعته. وهذا الضابط هو الذي جرى عليه العمل في التاريخ الإسلامي عموماً، والتاريخ المغربي على وجه الخصوص، كما سيأتي بيانه في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: الجذور التاريخية لإمارة المؤمنين بالمغرب

المطلب الأول: التأسيس الإدريسي وبدايات الولاية الدينية بالمغرب

لا يشك في فضل وقدر إمارة المؤمنين من كان معه مسكة عقل ودين أو علم، إذ بغيابها ينتشر عقد النظام فيتوثب العوام، وتسود فوضى من لا سراة لهم، كما قال "الأفوه الأودي" في ديوانه المشهور:[4]

1- [سورة الأحزاب، الآية: 62].

2- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت.505هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، (ج.1/ص: 17).

3- [سورة الفتح، الآية: 10].

4 – **ديوان الأفوه الأودي**، الأفوه الأودي (ت.560م)، تحقيق: محمد ألتونجي، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى: 1998 م، (ص: 129).

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

تُهْدَى الأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ ◊◊◊◊ فَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِالأَشْرَارِ تَنْقَادُ
لا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لا سَرَاةَ لَهُمْ ◊◊◊◊ وَلا سَرَاةَ إِذَا أَشْرَارُهُمْ سَادُوا

وقد توارث المغاربة إمارة المؤمنين جيلاً بعد جيل، فهي من مفاخرهم الحضارية ومنبع أمجادهم في الماضي والحال والمال. فمنذ مجيء مولاي إدريس الأول رضي الله عنه إلى المغرب سنة 172هـــ وبيعته من قبائل أوريه، تأسست بالمغرب أول دولة تجمع بين الشرف النبوي والولاية الدينية الجامعة، وقد أشار الإمام المهدي الوزاني – في سياق حديثه عن الإمامة في المنح السامية" – إلى رسوخ هذا الولاء في وجدان أهل المغرب بقوله: "على أن المسموع الشائع عن أهل هذه البلاد هو نصرة الإمام إدريس رضي الله عنه، ونصرة من جاءهم بالدين، ومحبته واتباع ما أمروا به"؛[1] وهي شهادة على أن الولاء الإمارة المؤمنين بالمغرب ليس ظاهرة طارئة، بل امتداد لديدن تاريخي عريق يمتد من العصر الإدريسي إلى يوم الناس هذا.

المطلب الثاني: استمرارية مؤسسة إمارة المؤمنين عبر الدول المغربية المتعاقبة

استمرت مؤسسة إمارة المؤمنين حاضرة عبر مختلف الدول التي تعاقبت على حكم المغرب: فقد لقب أمراء المرابطين بـــ "أمير المسلمين" تمييزاً لهم عن الخلافة العباسية مع بقائهم على نهج الجماعة، ثم توسع الموحدون في توظيف الشرعية الدينية للحكم، فبنوا خطا لهم السياسي على أسس عقدية صريحة، ثم جاء المرينيون والسعديون فحافظوا على الجوهر ذاته إلى أن استقرت الدولة العلوية الشريفة – وهي الدولة القائمة إلى اليوم – على نهج الجمع بين الشرف النبوي والبيعة الشرعية، فصار لقب "أمير المؤمنين" اللقب الرسمي الجامع الملوك المغرب، توارثوه أباً عن جد، مع تجديد البيعة له في كل عهد جديد من طرف العلماء وأهل الحل والعقد تطبيقاً حياً لضابط الانعقاد الأشعري المتقدم ذكره.

ولعل من أبرز ما يميز هذا الاستمرار التاريخي أن إمارة المؤمنين بالمغرب لم تكن يوماً مجرد لقب شرقي، بل ظلت مقترنة بوظائف فعلية الإمامة في الصلوات الكبرى والإشراف على المجالس العلمية وحماية بيضة الدين من البدع والانحرافات العقدية، ورعاية مصالح الرعية، وهو ما يجعلها – كما تقدم في وحماية بيضة الدين من البدع والانحرافات العقدية، ورعاية مصالح الرعية، وهو ما يجعلها – كما تقدم في تعريف الماوردي – جامعة بين حراسة الدين وسياسة الدنيا معاً.

المبحث الثالث: إمارة للمؤمنين والوحدة الترابية – قضية الصحراء المغربية أنموذجاً

المطلب الأول: السياق التاريخي للمسيرة الخضراء

تكتسي دراسة الأبعاد الدينية والروحية لإمارة المؤمنين في قضية الصحراء المغربية راهنيتها من محطتين متلازمتين:

- الأولى الذكرى الخمسين للمسيرة الخضراء المظفرة التي قادها جلالة المغفور له الحسن الثاني طيب الله ثراه في 6 نونبر 1975، إثر صدور قرار المحكمة الدولية بلاهاي في 16 أكتوبر من عام نفسه، والتي أقرت بوجود روابط بيعة تاريخية بين سلاطين المغرب وقبائل الصحراء،
- والثانية اعتماد مجلس الأمن الدولي بتاريخ 31 أكتوبر 2025 القرار رقم 279700 (2025)، الذي نص على أن "الحكم الذاتي الحقيقي تحت السيادة المغربية قد يشكل أفضل حل لهذا النزاع الذي طال أمده، وقد صوتت لصالحه إحدى عشرة

1 – **المنح السامية في النوازل الفقهية** =النوازل الصغرى=، محمد المهدي الوزاني (ت.1342ه)، طبع بأمر أمير المؤمنين الحسن الثاني رحمه الله تعالى. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، طبع عام: 1412هـــ / 1992م. (ج. 4 / ص: 581).

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

دولة من أعضاء المجلس الخمس عشرة، بينما امتنعت روسيا والصين وباكستان عن التصويت، و لم تشارك الجزائر في التصويت. وقد جاء هذا القرار غداة الخطاب الملكي السامي الذي ألقاه جلالة الملك محمد السادس نصره الله بمناسبة الذكرى الخمسين للمسيرة الخضراء. وليست هذه توافقات عرضية، بل هي – في نظر هذه الدراسة – تجسيد لمعنى قرآني عميق هو معنى النصر المرتبط بالصبر والثبات مصداقاً لقوله تعالى المستشهد به في مطلع هذه الدراسة: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[1].

المطلب الثاني: البشارة الملكية بالفتح الجديد

من عادة الملوك أن يزفوا بشائر الخير والفرح لشعوبهم، وهذا ما حصل فعلاً حين زف أمير المؤمنين الملك محمد السادس لشعبه الوفي، وبالأخص أهل الصحراء المغربية خبراً طال أمده بين الصحراويين، حيث قال حفظه الله في خطابه السامي:

"بعد خمسين سنة من التضحيات، ها نحن نبدأ، بعون الله وتوفيقه، فتحا جديدا، في مسار ترسيخ مغربية الصحراء، والطي النهائي لهذا النزاع المفتعل، في إطار حل توافقي، على أساس مبادرة الحكم الذاتي" [2]

ولفظ "الفتح" هنا لافت للنظر من الناحية الدلالية؛ فهو لفظ قرآني بامتياز، يستحضر معنى الظفر المقترن بالعناية الإلهية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[3]، وهو استحضار متعمد يربط رمزياً بين هذا الإنجاز الدبلوماسي والتاريخي وبين المعجم القرآني للفتح والنصر بما يحمله من دلالات الشكر والتواضع أمام المنعم سبحانه، لا الفخر والاستعلاء.

المطلب الثالث: جمع الشمل ومبدأ العفو – من فتح مكة إلى نداء تندوف

♣ أكد أمير المؤمنين محمد السادس على ضرورة جمع الشمل و لّم الشمل والصف الوطني، وتلك خاصية من أبرز خصائص إمارة المؤمنين التي ينعم بها المغرب، فهي السبيل الأمثل والأنجع في جمع شمل المغاربة قاطبة، وقد جاء ذلك مضمناً في نص الخطاب الملكي السامي حيث قال جلالته: فهي السبيل الأمثل والأنجع والأنجح والأسرع في جمع شمل المغاربة قاطبة. وهذا ما جاء مضمنا في نص الخطاب الملكي السامي حيث قال جلالته:

"وفي هذا السياق، نوجه نداء صادقا، لإخواننا في مخيمات تندوف، لاغتنام هذه الفرصة التاريخية، لجمع الشمل مع أهلهم، وما يتيحه الحكم الذاتي، للمساهمة في تدبير شؤونهم المحلية، وفي تنمية وطنهم، وبناء مستقبلهم، في إطار المغرب الموحد".[4]

كما أن لفظ "إخواننا" الوارد في نص هذا الخطاب الملكي السامي ليس اعتباطيا بل هو من الألفاظ المستمدة من نصوص شريعتنا الخالدة، ومن تجليات ذلك ما ورد في كتب السير في فتح مكة:

أنه لما تم فتح نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة وتحققت الغلبة والنصر والتمكين لرسول الله والمسلمين قال لمن تبقى من مشركي قريش: "يَا أَهْلَ مَكَّةَ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. ثُمَّ قال: (فإني أقول كما

1- [سورة آل عمران، الآية: 146].
2- مقتطف من الخطاب الملكي السامي المؤرخ يوم: 31 أكتوبر 2025م.
3- [سورة الفتح، الآية: 1].
4- مقتطف من الخطاب الملكي السامي.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

قال يوسف لإخوته: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1] ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أمّ هانئ بنت أبي طالب، فاغتسل، وصلّى ركعات صلاة الفتح شكرا لله عليه.

فكان بذلك العفو والصفح أبلغ وأقوى سلاح في تحقيق وترسيخ الأمن والسلم، وبناء قيم المحبة والوئام، وأمضى أثرا من القتل والانتقام. إذ بالعفو والصفح والتسامح تتماسك الجماعة، وتصان القيم، وتنبني أسس الرحمة والعدل والرفق والإحسان. وهو ما يتواقف تماما مع صلب الشريعة الإسلامية التي قال عنها الإمام ابن القيم –رحمه الله– في إعلام الموقعين عن رب العالمين:

«فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى البعث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل.

فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح؛ فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوي العالم، وهي العصمة للناس وقوام العالم، وبها يمسك الله السموات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطي العالم رفع إليه ما بقي من رسومها؛ فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة»[2]

علاوة على ذلك، فإن أمير المؤمنين جلالة المغفور له الحسن الثاني قد جسد هذا المعنى السامي في عبارته الجامعة: **"إن الوطن غفور رحيم"**. وهي عبارة تختزل في ثناياها فلسفة الدولة المغربية في بعدها الأخلاقي والقيمي خصوصا عند احتواء وجبر الخواطر.

وهو ما أكده أيضا ورسخه جلالة الملك محمد السادس نصره الله في خطابه السامي حين شدد على أن الوطن يتسع لجميع أبنائه؛ قائلا:

"أن الوطن يتسع للجميع "وبصفتي ملك البلاد، الضامن لحقوق وحريات المواطنين، أؤكد أن جميع المغاربة سواسية، لا فرق بين العائدين من مخيمات تندوف، وبين إخوانهم داخل أرض الوطن.." [3]

وفي هذا تأكيد واضح وبيّن على أن **الوحدة الوطنية** إنما تبنى بالإنصاف والعفو والرحمة والأخوة والتسامي والتسامح، لا بأضدادها مما يفيد معنى الإقصاص والإقصاء.

وهناك إشارة أخرى قِيَمية بالغة الدلالة تستفاد من **صلاة الشكر** التي صلاها إمام الأنبياء والمرسلين؛ نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة شكرا لله على ما أنعم به عليه من فتح ونصر وتمكين.

1- [سورة يوسف، الآية: 92].

2 – إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم الجوزية. (ت 751هـــ). تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى: 1411هـــ - 1991م. (ج. 3 / ص: 11).

3- مقتطف من الخطاب الملكي السامي.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وفي ذلك تجسيد بليغ لمعنى إقران الفتح بالشكر، والنصر بالحمد والثناء على المنعم جل وعلا. وقد سار على هذه الهدي النبوي أمير المؤمنين سليل الأشراف، ومبدع المسيرة الخضراء جلالة المغفور له الحسن الثاني طيب الله ثراه، كما سار عليها قبله المولى الحسن الأول حين أقاما ركعتي شكر لله تعالى بـــ **"الطاح"** ابتهاجا وفرحا على ما أنعم به على هذه البلاد من فتح ونصر وتمكين مبين. مما يؤكد ذاك البعد الروحي والقيمي في مسار الدولة المغربية تحت القيادة الرشيدة لأمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين.

المبحث الرابع: أثر إمارة المؤمنين في التنمية الروحية بالأقاليم الجنوبية

المطلب الأول: مجالس ختم صحيح البخاري – سنة حميدة متجددة

من بركات المسيرة الخضراء المظفرة ما أمر به أمير المؤمنين الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه من عقد مجالس ختم صحيح البخاري رجاء بركته. وهي سنة جميلة درج عليها المغاربة وما تزال مستمرة إلى يومنا هذا، حيث يختم الصحيح مئات المرات في جميع أنحاء المغرب في مدة وجيزة، خاصة في شهر رمضان الأبرك حيث يختم ليلة القدر، ويحضر أمير المؤمنين الملك محمد السادس نصره الله مجلس الختم ويقوم أحد كبار العلماء ممن قرأوا الصحيح خلال الشهر يختمه بين يدي الملك، فيشرح حديث الختم ويشتغل الحاضرون بالتسبيح والتهليل والدعاء، وهذه السنة، التي سنها أمير البلاد الحسن الثاني رحمة الله عليه، إحدى مآثر ملوك الدولة العلوية المجيدة في خدمة السنة النبوية، ولها انعكاسها المباشر على تعزيز التنمية الروحية في مختلف جهات المملكة بما فيها الأقاليم الجنوبية.

المطلب الثاني: إحياء الذكرى النبوية — مبادرة فريدة في العالم الإسلامي

في ذات السياق، أصدر أمير المؤمنين أمره السامي للمجلس العلمي الأعلى، ومن خلاله إلى سائر المجالس الجهوية والإقليمية وإلى مختلف مؤسسات المملكة الشريفة بالاحتفال بمرور خمسة عشر قرناً على ميلاد الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم وهو حدث فريد لم تشهد له أي دولة إسلامية مثيلا، يبرز الحرص الملكي على ربط الأمة بمنبع هدايتها وسعة إيمانها، وهو ما ينعكس بدوره على الأقاليم الجنوبية من خلال محطات إحياء المولد النبوي الشريف فيها.

المطلب الثالث: ترسيخ العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي والتصوف السني المعتدل

لا يقتصر دور إمارة للمؤمنين على الحفاظ على الثوابت الدينية فحسب، بل تمتد بركاتها وفوائده وعوائدها لتشمل أيضاً تنمية الإنسان وبناء العمران في الأقاليم الجنوبية للمملكة الشريفة، من خلال تعزيز التنمية الروحية في خطب الجمعة والجماعات وفي غيرها من المحطات؛ مما يرسخ معه قيم "العقيد السنية الأشعرية"، و "المذهب المالكي" ، و"التصوف السني المعتدل"، وبن قيم الوسطية والاعتدال، وربط أهل الصحراء بعمقهم الديني والتاريخي، مع إطلاق مشاريع تنموية كبرى تسهم في تعزيز كرامة الإنسان الصحراوي، وتضمن له الطمأنينة والأمن والاستقرار.

وتعد هذه الثلاثية العقدية والفقهية والسلوكية (الأشعرية، المالكية، التصوف السني) هي عينها المرجعية الدينية الجامعة التي أجمع عليها المغاربة عبر تاريخهم، والتي تشرف إمارة المؤمنين على صونها وحمايتها من الغلو والتطرف من جهة، ومن الميوعة والانحلال من جهة أخرى، فتحقق بذلك التوازن الروحي المنشود لأبناء الوطن كافة، وفي مقدمتهم أبناء الأقاليم الجنوبية.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

خاتمة

إن الحديث عن إمارة المؤمنين أو الإمامة العظمى إنما هو حديث عن ثابت قوي من أشت الثوابت الدينية والحضارية المغربية الراسخة رسوخ الجبال الرواسي؛ إذ بها تصان مقومات الدين، وتحفظ المرجعية الشرعية من شرور التنازع والافتراق والاحتراب، ومن شوائب التحريف والانتحال والتصحيف. وهي، إلى جانب ذلك، الإطار الجامع الذي تصان به وحدة الوطن، ويؤمن به استقراره، وتضمن استمراريته ورقيه وازدهارها وهي من التلاحم القوي بين العرش والشعب.

وقد بينت هذه الدراسة، من خلال مباحثها الأربعة، أن إدارة المؤمنين تجمع بين ثلاثة أبعاد متكاملة: بعد عقدي تأصيلي متجذر في الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم، وبعد تاريخي ممتد منذ الدولة الإدريسية إلى العهد العلوي الشريف، وبعد راهني يتجلى في تدبير قضية الوحدة الترابية بروح دينية وأخلاقية تستلهم سنة النبي صلى الله عليه وسلم في العفو والتسامح وجمع الشمل، كما تجلى ذلك في خطاب 31 أكتوبر 2025 وما تلاه من اعتماد مجلس الأمن الدولي القرار رقم 2797 الفاهم المبادرة الحكم الذاتي.

ولا يقتصر دور إمارة المؤمنين على الحفاظ على الثوابت الدينية فحسب، بل تمتد بركاتها لتشمل تنمية الإنسان وبناء العمران في الأقاليم الجنوبية، عبر تعزيز التنمية الروحية وترسيخ قيم العقيدة السبية الأشعرية والمذهب المالكي والتصوف السني المعتدل، وبثّ قيم الوسطية والاعتدال، وربط أهل الصحراء بعمقهم الديني والتاريخي.

محفظ الله مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله، وأدام عليه نعمة الصحة والعافية، وأقر عينه بولي عهده المحبوب صاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن، وشد أزره بصوره السعيد الأمير مولاي رشيد وسائر الأسرة الملكية الشريفة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأحكام السلطانية الإمام الماوردي (ت 450هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم الجوزية (ت. (751هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: 1411هـ / 1991م،
- تاريخ ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس أ. خليل شحادة، مراجعة د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى: 1998م،
- ديوان الأفوه الأودي، الأفوه الأودي (ت 560م)، تحقيق: محمد التونجي، الناشر: دار صادر –
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية: 1384هـ / 1964م،
- رواه الإمام أحمد في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (ت 1438هـ)، عادل مرشد وآخرون الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1421هـ / 2001م،
- شعب الإيمان، الإمام البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د. عبد العلي. الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه مختار أحمد الندوي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى: 1423هـ / 2003م،
- غياث الأمم في التياث الظلم الإمام الحويني (ت 478هـ)، تحقيق: عبد العظيم الديب، الناشر: مكتبة إمام الحرمين، الطبعة الثانية: 1401هـ.
- المنح السامية في النوازل الفقهية (النوازل الصغرى)، محمد المهدي الوزاني (ت 1342هـ). 12 المنح السامية في النوازل الفقهية النوازل الصغرى، محمد المهدي الوزاني (ت 1342هـ). طبع بأمر أمير المؤمنين الحسن الثاني رحمه الله تعالى، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. طبع عام 1412هـ / 1992م،
- الخطاب الملكي السامي المؤرخ في 31 أكتوبر 2025م.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/